التربية الفكرية والعلمية للطفل في المنظور النبوي وأثروها في المجتمع

د. شهيد كريم فليح د. طه حماد مخلف
جامعة ديالى/ كلية العلوم الإسلامية

المقدمة

إن من اهم المرتكزات التي تقوم عليها المجتمعات وتتميز بها على غيرها، الأسس التربوية والفكرية والأخلاقية التي يتربى عليها أبنائها، ومن عظيم شرائح المجتمع شريحة الأطفال فهم أسسه المتينة وقادة مستقبله وصناع حضارته على امتداد الأيام وتقدم الزمان ومما لا شك أن الطفولة هي المرحلة المجدية في تربية وتعليم الطفل، فالطفل كالمرآة يعكس أخلاق والديه، وأسرته، ومحيطه، ومدرسته، ومجتمعه وهو كالعجينة قبل دخولها الفرن، تستطيع أن تكيفها كيف شئت، والولد سرُّ والديه، ومن أدب أولاده صغاراً سر بهم كباراً، وفي عصر تقدمت العلوم وتنوعت اختصاصاتها وأساليبها، وأبنائنا جزء من المجتمع المتغير والمتطور فلابد من تنوع الأساليب واختلاف الطرق ومواكبة العصر في السعي من اجل حسن تربيتهم وتطوير أفكارهم وتنمية الإبداع بداخلهم وتحصينهم ضد موجات الإفساد والانحراف وذلك مطلب عظيم يحتاج إلى جهد جهيد وعمل دؤوب متواصل لتحقيقه وفي ديننا العظيم الخير الكثير الذي نستطيع إن نبني به أفضل النفوس ونقيم أحسن المجتمعات فالخالق جل في علاه اعلم بما يصلح حال العباد في كل زمان ومكان وفي السنة المطهرة من الأساليب التربوية والعلمية ما يغنينا عن غيرها إن أحسنا استثمارها وفهمها وتطبيقها لاسيما مع التطور العلمي في الأدوات والآلات ونستطيع إن ننمي شخصية الطفل بأحسن ما يكون، العلمية والفكرية والتأكيد على الجانب العلمي والفكري مهم جدا، فأعظم ما في الإنسان عقله فهو المرشد إلى الخير وغيره، ولذا كان عنوان بحثي في مؤتمركم القيم (التربية الفكرية والعلمية للطفل في المنظور النبوي وأثروها في المجتمع) إسهاما في إعداد أسس متينة لمجتمع عظيم وأمة عظيمة لاسيما وبلدنا الحبيب قد تعرض ولازال إلى تهديم في الأخلاق قبل البنيان وتهديم للنفوس والمشاعر قبل تهديم شوارعه ومدارسه.

المبحث الاول: التربية العلمية والفكرية

أهمية التربية العلمية والفكرية

لم تعرف البشرية في تأريخها ديناً اعظم من الاسلام في الحرص على تعليم أبنائه منذ الصغر الى آخر لحظة في حياتهم، فأول أية نزلت على نبينا الاعظم صلى الله عليه وسلم قوله تعالى(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)[١]وهي دعوة للعلم والتعلم من خلال القراءة وهي قرآن يتلى الى قيام الساعة يدعو الصغير والكبير الرجل والمرأة العالم والجاهل سواء الى التعلم، تعلم القران الكريم، تعلم أحكام الدين العظيم، تعلم كل علم ينفع البشرية ويحقق لها السعادة والأمن والتقدم في شتى ميادينها.

وفي القران الكريم والسنة المطهرة الآيات والاحاديث الكثيرة التي ترفع شأن العلم وترغب فيه بل تجعله من اعظم القربات الى الله وافضل الاعمال لما يترتب عليه من ثمار كبيرة تعود على الامة جمعاء ولنا أن نوجز منها..

١- في بيان فضل العلم: قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[٢] وقوله تعالى(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[٣] وقوله تعالى(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)[١]

---

[١]- العلق: ١.

[٢]- ال عمران: ١٨.

[٣]- المجادلة:١١.

ومن الاحاديث الشريفة: عن قيس بن كثير قال: قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي؟ فقال حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما جئت لحاجة؟ قال لا قال أما قدمت لتجارة؟ قال لا قال ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الدواب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)[٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلمَ:عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ[٣].

وعن علي رضي الله عنه قال: مروا أولادكم بطلب العلم[٤]، وفي عملية البناء الفكري لابد من وضع الاسس والاركان التي يسير عليها الوالدان كي يكون البناء منتظماً وصحيحاً ومتيناً لبناء عقلية الطفل وتنمية افكاره وابداعاته وقدراته فأعظم ما في الانسان عقله وبه يشق طريقه ويرسم مستقبله الى الخير والصواب وذلك مطلب عظيم يحتاج جهد عظيم وخطوات منتظمة لابد من السير عليها لتحقيق الهدف الكبير من اعداد فرد صالح نافع بل ربما قائداً لأمته ومجتمعه.

أسس التربية الفكرية والعلمية

١- حق الطفل في التعلم:

وضع النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة عظيمة في حق التعلم والحث عليه وبذل الجهد والسعي من أجل تحصيلة، وهذه القاعدة تناقلتها الامة جيل بعد جيل وتشمل الصغير والكبير والعالم والمتعلم الرجال والنساء وهذه القاعدة هي حديث النبي صلى الله عليه وسلم(طلب العلم فريضة على كل مسلم)[٥].

وافضل فترة للتعلم هي فترة الطفولة فهي اخصب فترة للبناء العلمي والفكري فالتعلم والحفظ منذ الصغر يمتاز بأنه أسرع وأثبت وأقوى كما أن الصغير تكون مشاغله في الحياة أقل من الكبير والى ذلك أشار إلى ذلك ابن خلدون بقوله: " إن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده"[٦]، وتشير الدراسات العلمية ان الطفل يتعلم في سنواته الأولى أكثر بكثير مما يتصوره الآباء، فإن العادات يمكن أن يكتسبها بسهولة كلما كانت سنه أصغر، فإن "٩٠%" من العملية التربوية تتم في السنوات الخمس الأولى، كما أن الطفل في هذه الفترة يميل إلى إرضاء والده، ويحاول أن يخرج منه عبارات الثناء والإعجاب. فمن البديهي أن يستغل الوالد هذه الفترة الهامة في تعليمه وتوجيهه الوجهة الحسنة. يقول ابن الجوزي –رحمه الله– في هذا المجال: "أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعباً. قال الشاعر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت..... ولا يلين إذا قومته الخشب

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل..... وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب[٧]

---

[١]- الزمر: ٩

[٢]- الجامع الصحيح سنن الترمذي:٤٨/٥

[٣]- أخرجه أحمد ٢٨٣/١ و"البُخَاريّ" في (الأدب المفرد)٤٤٧/١، وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

[٤]- كنز العمال ج١٦/ص٢٤٦

[٥]- سنن ابن ماجه:٨١/١ .

[٦]- مقدمة ابن خلدون ج١/ص٥٣٨

[٧] – بحوث تربية الطفل المسلم – (٢٥٦/١) المكتبة الالكترونية الشاملة الاصدار الرابع.

وروت لنا السنة المطهرة الاثار في ذلك التي تشير وتدعو الى أهمية التعلم في الصغر وان كان البعض ضعيفاً من ناحية الثبوت لضعف في سند الحديث الا أن المعنى صحيحاً وعموم الادلة تدعو الى ذلك، ومن تلك الاحاديث، فقد روى الطبراني في الكبير بسند ضعيف عن أبي الدرداء مرفوعا بلفظ (مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الحجر ومثل الذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء)[١].

وعن أبي رافع بسند ضعيف، قال: قلت: يا رسول الله أللولد علينا حق كحقنا عليهم قال(نعم حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي وأن يورثه طيبا)[٢].

ومما أنشد نفطويه لنفسه

(أراني أنسى ما تعلمت في الكبر.....ولست بناس ما تعلمت في الصغر)

(وما العلم إلا بالتعلم في الصبا.....وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر)

(ولو فلق القلب المعلم في الصبا.....لألفى فيه العلم كالنقش في الحجر)[٣]

ولذا كان الامر النبوي بتعليم الطفل الصلاة وأمره بها منذ السنة السابعة وهي جزء من العلم الشرعي الذي ينبغي تعليمه للطفل في السن المبكر وبيان ان الطفل له القابلية على ذلك من التعلم والممارسة للعبادة.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع)[٤].

وقد وعى الجيل الاول من الصحابة والتابعين اهمية التعليم المبكر للطفل وأثر ذلك في بناء شخصيته وثبات ذاكرته وتركوا لنا الاثار الجميلة ومنها:

عن ابن عباس رضي الله عنه: من قرأ القرآن قبل ان يحتلم فقد أوتى الحكم صبيًّا[٥].

وعن الحسن البصري رحمه الله قال: قدموا الينا احداثكم فانهم افرغ قلوبا واحفظ لما سمعوا فمن اراد الله ان يتمه له اتمه[٦].

وعن سعيد بن رحمة الأصبحي قال كنت أسبق إلى حلقة عبد الله بن المبارك بليل مع أقراني لا يسبقني أحد ويجيء هو مع الاشياخ فقيل له قد غلبنا عليك هؤلاء الصبيان فقال هؤلاء أرجى عندي منكم أنتم كم تعيشون وهؤلاء عسى الله أن يبلغ بهم قال سعيد فما بقي أحد غيري[٧].

وفي وصية للحسن بن على رضي الله عنه لبنيه وبنى أخيه: تعلموا تعلموا فانكم صغار قوم اليوم تكونون كبارهم غدا فمن لم يحفظ منكم فليكتب[٨].

---

[١] – المقاصد الحسنة:٤٦٠

[٢] – السنن الكبرى ت: محمد عبد القادر عطا – (١٥/١٠) والحديث ضعيف لضعف عيسى بن إبراهيم الهاشمي، ضعفه يحيى بن معين والبخاري وغيرهما.

[٣] – حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة: ج١/ص١٧٥

[٤] – مسند الإمام أحمد بن حنبل أحمد بن حنبل:١٨٠/٢. وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

[٥] – شعب الإيمان:٣٣٠/٢

[٦] – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ج١/ص٣١١

[٧] – المحدث الفاصل ج١/ص١٩٤

[٨] – الكفاية في علم الرواية ج١/ص٢٢٩

وكان عطاء ابن أبي رباح يقول للغلمان: يا غلمان تعالوا اكتبوا فمن كان منكم لا يحسن كتبنا له ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا[١].

وفي وصية لقمان لابنه يا بني ما بلغت من حكمتك قال لا أتكلف مالا يعنيني قال يا بني إنه قد بقي شيء آخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيى القلوب الميتة الحكمة كما يحيى الأرض المية بوابل السماء[٢].

وليس العلم مقصورا على تعليم العلوم الشرعية فحسب، بل عموم ذلك لكل ما هو نافع، لاكن من باب التأكيد على اصل العلوم وأهمية ذلك.

واعظم انطلاقة للطفل نحو العلم هو الانطلاق الذاتي ولا يكون ذلك الا عندما يحب الطفل العلم ويترسخ في نفسه وعقله فيسعى لتحصيله متحملاً المشاق من غير الحاح وارغام.

٢-حفظ شيء من القران والسنة

إن أعظم مصدرين للعلم لدى المسلم القران الكريم والسنة المطهرة ولذا دأب المسلمون قديما وحديثا إلى تعليم أبنائهم القرآن الكريم في سن مبكرة منطلقين من وصية النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، عن عُثْمَانَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[٣].

حتى كانت النتيجة أن عرف بعض الناس أنهم حفظوا القرآن الكريم قبل سن العاشرة كالشافعي، وابن حنبل، والنووي رحمهم الله تعالى .

وجاء في الآثار النبوية التي تدعو الى التلقين والتحفيظ المبكر للطفل ما روى الإمام عبد الرزاق في مصنفه[٤] قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)[٥].

ولهذا قال ابن سينا في كتابه السياسة: فإذا اشتدت مفاصل الصبي واستوى لسانه وتهيأ التلقين ووعى سمعه أخذ في تعلم القرآن وصور له حروف الهجاء ولقن معالم الدين[٦].

وقال ابن القيم في تحفة المولود: فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتوحيده وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا وكان بنو إسرائيل كثيرا ما يسمون أولادهم ب عمانويل ومعنى هذه الكلمة إلهنا معنا ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن بحيث إذا وعى الطفل وعقل علم أنه عبد الله وأن الله هو سيده ومولاه[٧].

وعن ابن عباس[٨] أنه قال لرجل ألا أتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار وينجى بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت أنها في قلب كل

---

[١] – المحدث الفاصل ج١/ص٣٧٣

[٢] – جامع بيان العلم وفضله ج١/ص١٠٦

[٣] – صحيح البخاري:٤/١٩١٩

[٤] – مصنف عبد الرزاق ج٤/ص٣٣٤

[٥] – الاسراء: ١١١

[٦] – السياسة ج١/ص١٠٢

[٧] – تحفة المودود بأحكام المولود:١٨/٣

[٨] – تفسير ابن كثير ج٤/ص٣٩٦

إنسان من أمتي[١]، وأما حفظ السنة فقد دأب الصحابة الكرام على حفظها في وقت مبكر، عن مَحْمُودِ بن الرَّبِيعِ قال عَقَلْتُ من النبي صلى الله عليه وسلم مَجَّةً مَجَّهَا في وَجْهِي وأنا بن خَمْسِ سِنِينَ من دَلْوٍ[٢].

وعن أبي الحوارء السعدي قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم(دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة)[٣].

وعن إبراهيم بن أدهم قال: قال لي أبي يا بني أطلب الحديث فكلما سمعت حديثا وحفظته فلك درهم فطلبت الحديث على هذا[٤] وروى لنا الخطيب البغدادي عن انطلاقة الامام البخاري في مسيرته العلمية.

قال الهمت حفظ الحديث وانا في الكتاب قال: وكم اتى عليك إذ ذاك قال: عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعد الشعر فجعلت اختلف إلى الداخلى وغيره وقال يوما فيما كان يقرا للناس سفيان عن أبى الزبير عن إبراهيم فقلت له يا أبا فلان ان أبا الزبير لم يروه عن إبراهيم فانتهرنى فقلت له ارجع إلى الأصل ان كان عندك فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال لي كيف هو يا غلام قلت هو الزبير بن عدى بن إبراهيم فأخذ القلم مني واحكم كتابه فقال صدقت فقال له بعض اصحابه بن كم كنت إذ رددت عليه فقال بن إحدى عشرة فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب بن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ثم خرجت مع امى واخى احمد إلى مكة فلما حججت رجع اخى بها وتخلفت في طلب الحديث فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت اصنف قضايا الصحابة والتابعين واقاويلهم وذلك أيام عبيد الله بن موسى وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة[٥].

٣-المدرس الصالح

إن عظماء العالم وكبار الساسة فيه وصناع القرارات الخطيرة، كل هؤلاء قد مرُّوا من خلال عمليات تربوية طويلة ومعقدة، شارك فيها أساتذة ومعلمون، وضع كل منهم بصماته على ناحية معينة من نواحي تفكيرهم، أو على جانب من جوانب شخصياتهم، وليس من المحتم أن يكون هؤلاء العظماء وقواد الأمة ومصلحيها قد مرُّوا على عيادات الأطباء، أو على مكاتب المهندسين، أو المحامين، أو الصيادلة، أو المحاسبين. بل إن العكس هو الصحيح إذ لابد أن يكون كل هؤلاء الأطباء والمهندسين والمحامين والصيادلة والمحاسبين وغيرهم، لابد وأن يكونوا قد مرُّوا من تحت يد المعلم؛ لأنهم من ناتج عمله وجهده وتدريبه ... إن المعلمين يخدمون البشرية جمعاء، ويتركون بصماتهم واضحة على حياة المجتمعات التي يعملون فيها، كما أن تأثيرهم على حياة الأفراد ومستقبلهم يستمر مع هؤلاء الأفراد لسنوات قد تمتد معهم ما امتد بهم العمر، إنهم يتدخلون في تشكيل حياة كل فرد مرَّ من باب المدرسة، ويشكلون شخصيات رجال المجتمع من سياسيين، وعسكريين، ومفكرين، وعاملين في مجالات الحياة المختلفة[٦].

إن المعلم هو المرآة للطفل التي تنطبع بنفسه وعقله وهم مصدر التلقي والمعرفة للطفل فيحسن ويقبح ما يحسن معلمه وبالعكس ويقدم ويؤخر ما يراه معلمه واستاذه ولذا كانت الامانة العظيمة ان يختار للطفل المعلم الاتقى خلقاً والاذكى اسلوباً والانجح تربيةً والأورع ديناً لنجاح التربية والتعليم في عموم مفاصلها، فالعلم من غير سلوك وتربية مستقيمة ماذا ينتج

---

[١] -المعجم الكبير:٢٤١/١١

[٢] - صحيح البخاري:٤١/١

[٣] -سنن الترمذي:٦٦٨/٤ وقال الترمذي: هذاحديث حسن صحيح

[٤] - شرف أصحاب الحديث:٦٧/١

[٥] - تاريخ بغداد:٦/٢-٧

[٦] - المعلم والمناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي (١٤-١٥)، نقلاً عن المدرس ومهارات التوجيه، (١٠/١) المكتبة الالكترونية الشاملة، الاصدار الرابع.

ويثمر، ويؤكد ذلك المعنى ابن سينا بقوله: ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلا ذا دين بصيرا برياضة الأخلاق حاذقا بتخريج الصبيان وقورا رزينا بعيدا من الخفة والسخف قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي غير كز ولا جامد بل حلوا لبيبا ذا مروءة ونظافة ونزاهة[١].

ولذا عظمت السنة المطهرة شأن المعلم ورفعت منزلته وذكرت ان جميع من في السموات والارض يدعو ويستغفر لمعلم الخير وليس ذاك الا لعظيم منزلته وأهميته، وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير)[٢]، ويروي لنا أئمتنا كيف كان حرص ابائهم على اختيار المدرس الصالح لهم .

قال مالك قلت لامي أذهب فأكتب العلم فقالت تعال فالبس ثياب العلم فالبستني ثيابا مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها ثم قالت اذهب فاكتب الآن وكانت تقول اذهب الى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه[٣]، ويروي لنا أبو بكر بن جابر خادم أبي داود رحمه الله قال كنت مع أبي داود ببغداد فصلَّينا المغرب فجاءه الأمير أبو أحمد الموفَّق فدخل ثم أقبل عليه أبو داود فقال ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت قال خلالٌ ثلاث قال وما هي قال تنتقل إلى البصرة فتتّخذها وطناً ليرحل إليك طلبة العلم فتعمر بك فإنّها قد خربت وانقطع عنها النّاس لما جرى عليها من منة الزَّنج فقال هذه واحدة، قال وتروي لأولادي السُّنن فقال نعم هات الثالثة، قال وتفرد لهم مجلساً فإنّ أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامّة قال أمّا هذه فلا سبيل إليها لأنّ النّاس في العلم سواء قال ابن جابر فكانوا يحضرون ويقعدون في كمٍّ ضرب عليه ستر ويسمعون مع العامّة[٤].

وذلك الاهتمام البالغ في اختيار المعلم نابع من اهمية العلم وعظيم شأنه فهو الدين والامانة فينبغي حملها وأخذها ممن هم أهل لذلك، قال حماد بن زيد قال دخلنا على أنس بن سيرين في مرضه فقال اتقوا الله يا معشر الشباب وانظروا عمن تأخذون هذه الأحاديث فانها من دينكم[٥].

وقال الامام مالك بن أنس إن هذا العلم هو لحمك ودمك وعنه تسأل يوم القيامة فانظر عن من تأخذه[٦].

٤-الاهتمام باللغة العربية.

تعد اللغة العربية مفتاح العلوم وكلما كان قوياً باللغة كان قوياً في تحصيل العلوم الاخرى التي يحبها وهي لغة القران والسنة المطهرة ولغة أهل الجنة وبما أن تعلم القران والشريعة من الواجب على المسلم أياً كان فلذالك أصبح من الواجب تعلم العربية فما لايتم الواجب به فهو واجب وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم بتعلمها وتعليمها وخصوصاً الاطفال ولذا جعل فداء الاسرى يوم بدر تعليم القراءة والكتابة لأطفال المسلمين، قال ابن عباس: كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة وبذلك شرع الأسرى يعلمون غلمان المدينة القراءة والكتابة، وكل من يعلم عشرة من الغلمان يفدي نفسه وقبول النبي صلى الله عليه وسلم تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت الذي كانوا فيه بأشد الحاجة إلى المال يرينا سمو الإسلام في نظرته إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأمية، وليس هذا بعجيب من دين كان أول ما نزل من كتابه الكريم: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ – خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ

---

[١] – السياسة: ج١/ص١٠٢

[٢] – سنن الترمذي:٥/٤٨

[٣] – الديباج المذهب ج١/ص٢٠

[٤] – تاريخ الإسلام ج٢٠/ص٣٦١-٣٦٢

[٥] – الكفاية في علم الرواية ج١/ص١٢٢

[٦] – المحدث الفاصل ج١/ص٤١٦

– اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ – الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) [العلق: ١–٤]. واستفاضت فيه نصوص القرآن والسنة في الترغيب في العلم وبيان منزلة العلماء، وبهذا العمل الجليل يعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أول من وضع حجر الأساس في إزالة الأمية وإشاعة القراءة والكتابة، وأن السبق في هذا للإسلام[١]، فإذا أخطأ طفل في العربية حز في النفوس وترك أثراً لأهمية ذلك في حياتهم، وروى صاحب شعب الإيمان عن عمر بإسناد غير قوي أنه مر على قوم يرمون فقال بئس ما رميتم قالوا إنا قوم متعلمين فقال والله لذنبكم في لحنكم أشد علي من ذنبكم في رميكم[٢].

وتتجلى أهمية ذلك لما في تعلم العربية من الفوائد والدرر فهي لغة القران والادب والشعر وعلى قدر التمكن من العربية يكون الفهم للقران أعظم وللدين أسلم ولا تعرف لغةً فيها من الطلاوة والحلاوة والمعاني أكثر من العربية لما فيها من التصاريف واحتمال المقاييس النحوية.

قال الشافعي رحمه الله من قرأ القرآن عظمت قيمته ومن تفقه نبل قدره ومن كتب الحديث قويت حجته ومن تعلم اللغة رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه[٣].

وقد تأثر الكثير من المسلمين بالغزو الفكري الغربي الذي حارب الاسلام من خلال اللغة العربية فحاول التقليل من أهميتها وأشاعة العامية والدعوة اليها واظهار اللغة بمظهر التعقيد وصعوبة التعلم وأنها أحدى اسباب التخلف العلمي والتراجع الذي تشهده الدول العربية والاسلامية وتلك دعوة باطلة ليس الا أبعاد الامة عن دينها وقرأنها والى يومنا هذا فلم تأخذ اللغة العربية حجمها ومكانتها بين المواد العلمية والدراسية التي يتلقاها الطالب في مختلف سنوات دراسته، وينظر اليها الكثير من الطلبة نظرة التعقيد والصعوبة وليس ذلك إلا بسبب عدم اعطائها الحق من خلال المادة الدراسية أو أسلوب التعليم أو اسناد ذلك الى غير أهلها من المختصين في ذلك، ولذا ينبغي الاهتمام باللغة وبيان أهميتها وتعليم الطفل بما يتناسب مع عقله واستيعابه بأسلوب سهل ومتدرج الاخف الاخف من كتيها ومؤلفاتها.

٥–تعلم اللغة الاجنبية

بعد تعلم اللغة العربية وحفظ شيئاً من القران والسنة يفضل أن يتعلم الطفل لغةً اخرى أكثر استخداماً وحاجةً في العصر والتكن اللغة الانكليزية ففي تعلمها الفوائد الكثيرة مثل التعرف على العالم الخارجي بكل قواه العلمية والحضارية والفكرية وما وصل اليه من تطور خصوصا ونحن نعيش في عصر التطور والثورة المعلوماتية وغالب مايدور حولنا من صناعة ومنتج وتطور باللغة الانكليزية فضلاً عن كشف مخططات أعداء الإسلام، ويأمن مكرهم، وينقل العلوم المادية البحتة إلى المسلمين.

وهذا ما فعله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أول ما وصل إلى المدينة المنورة مهاجراً من مكة، فعن خارجة بن زيد أن أباه زيدا أخبراه أنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد ذهب بي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعجب بي فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بنى النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي قال زيد فتعلمت كتابهم ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه وأجيب عنه إذا كتب[٤].

---

[١] – انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (١٦٤/٢، ١٦٥).نقلا عن السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – (٣ / ٦٩)

[٢] – شعب الإيمان ج٢/ص٢٥٧

[٣] – الآداب الشرعية – (١ / ٢٣١)

[٤] – أخرجه أحمد ١٨٦/٥ و"أبو داود" والتِّرْمِذِيّ وأخرجه البُخَارِي، تَعْلِيقًا ٩٤/٩(٧١٩٥) وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناده حسن من أجل عبد الرحمن

وهذا ما كان عليه الحال في صدر الامة فعن عمر بن قيس قال: كان لابن الزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى فكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته وكنت إذا نظرت إليه في أمر دينه قلت: هذا رجل لم يرد الله طرفة عين وإذا نظرت إليه في أمر أخرته قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين[١].

٦- توجيه الطفل وفق ميوله العلمية

لا بد من توجيه الطفل حسب ميوله العلمية، ورغباته النفسية، لأنه أدعى لتمكن العلم من نفسه، وبراعته به، وتفوقه على أقرانه، وقد قرر هذا أيضاً علماء السلف الصالح رضوان الله عليهم، فهذا ابن سينا يرى أنه: ليست كل صناعة- مهنة- يرومها الصبي ممكنة له، مواتية، ولكن ينبغي له أن يزاول ما شاكل طبعه وناسبه[٢].

وقد مر بنا كيف اختار الصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعاً زيد بن ثابت وقدموه للنبي صلى الله عليه وسلم لتعلم اللغة السريانية وقد نجح في ذلك وايام معدودة. فالإنسان يبدع فيما يحب ويحقق اعلا درجات النجاح اذا ما توافقت ميولاته النفسية مع واجباته المكلف به، وكم اخفق الكثير من أبنائنا في دراستهم وتخصصاتهم العلمية والانسانية بل وفي اداء مهامهم لانهم لم يتعاملوا مع تلك الدراسة وذلك الاختصاص وتلك الامانة وفق رغباتهم وطموحاتهم البناءة بل اكرهوا عليها لسبب واخر، وهذا ما نجده بكثرة في مدارسنا وجامعاتنا فينبغي مراعاة الميول العلمية للطفل والشاب أيا كانت واحترامها وتنميتها لدى الشخص حتى تؤتي الثمار اليافعة.

ومن الامثلة في تأريخنا على ذلك: كَانَ الْخَلِيلُ (الفراهيديُّ) رَجُلًا صَالِحًا عَاقِلًا كَامِلًا حَلِيمًا وَقُورًا، وَكَانَ مُتَقَلِّلًا مِنَ الدُّنْيَا، صَبُورًا عَلَى الْعَيْشِ الْخَشِنِ الضَّيِّقِ، وَكَانَ يَقُولُ: لَا يُجَاوِزُ هَمِّي مَا وَرَاءَ بَابِي. وَكَانَ ظَرِيفًا حَسَنَ الْخُلُقِ، وَذُكِرَ أَنَّهُ اشْتَغَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فِي الْعُرُوضِ، قَالَ: وَكَانَ بَعِيدَ الْفَهْمِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: كَيْفَ تُقَطِّعُ هَذَا الْبَيْتَ؟ إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ، فَشَرَعَ مَعِي فِي تَقْطِيعِهِ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ مِنْ عِنْدِي فَلَمْ يَعُدْ إِلَيَّ، وَكَأَنَّهُ فَهِمَ مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ[٣].

وكان الإمام البخاري في أول أمره يحاول تعلم الفقه، والتبحر فيه، فقال له محمد بن الحسن: اذهب واشتغل بعلم الحديث، عندما رآه مناسباً لقدراته وأليق به، وأقرب إليه، وقد أطاع البخاري، ومن صار على رأس أهل الحديث، بل وإمامهم[٤].

٧-المكتبة المنزلية الصالحة، وأثرها في بناء الطفل

لتنمية عقلية الطفل وشد رغباته نحو العلم والمطالعة وتنمية مهاراته الفكرية لابد من وجود مكتبة علمية امام عينه يتطلع لها كثيراً وتثير مشاعره وتدفعه نحو الاهتمام بها والتعرف على محتوياتها وكنوزها تظم مختلف العلوم وبما يتلاءم مع مستواه الفكري وخصوصاً ما يتعلق بالفكر الاسلامي حتى يتعلم دينه وعقيدته التي يشبُّ عليها، وينهل منها. ويتفق أهل التربية على أهمية غرس حب القراءة في نفس الطِفل، وتربيته على حبها، حتى تصبح عادة له يمارسها ويستمتع بها.وما هذا إلا لمعرفتهم بأهمية القراءة، فقد أثبتت البحوث العلمية (أن هناك ترابطاً مرتفعاً بين القدرة على القراءة والتقدم الدراسي).

وهناك مقولات لعلماء عظام تبين أهمية القراءة أذكر منها:

---

[١] – المستدرك – (٣ / ٦٣٣)وسكت عنه الذهبي في التلخيص

[٢] – السياسة ج١/ص١٠٤

[٣] – البداية والنهاية – (١٠ / ١٦١)

[٤] – مجلة الوعي العربي سنة أولى عدد (١) عام ١٩٧٧ م ص (٣٣)نقلا عن المنهاج النبوي في تربية الأطفال ص: ٣٩٨.

١- (الإنسان القارئ تصعب هزيمته).
٢- (إن قراءتي الحرة علمتني أكثر من تعليمي في المدرسة بألف مرة) .
٣- (من أسباب نجاحي وعبقريتي أنني تعلمت كيف انتزع الكتاب من قلبه).
٤- سئل أحد العلماء العباقرة: لماذا تقرأ كثيراً؟ فقال: (لأن حياة واحدة لا تكفيني !!).

كما أن القراءة تفيد الطفل في حياته، فهي توسع دائرة خبراته، وتفتح أمامه أبواب الثقافة، وتحقق التسلية والمتعة، وتكسب الطفل حساً لغوياً أفضل، ويتحدث ويكتب بشكل أفضل، كما أن القراءة تعطي الطفل قدرة على التخيل وبعد النظر، وتنمي لدى الطفل ملكة التفكير السليم، وترفع مستوى الفهم، وقراءة الطفل تساعده على بناء نفسه وتعطيه القدرة على حل المشكلات التي تواجهه[١] ويفضل ان تكون المكتبة متنوعة من الكتب والمجلات وأشرطة كاست. وأشرطة فيديو واسطوانات كمبيوتر وغيرها من الوسائل العلمية الحديثة.

قال سلمة بن بديل بن ورقاء: دفع إلي بديل بن ورقاء هذا الكتاب، وقال: يا بني هذا كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم –، فاستوصوا به، فلن تزالوا بخير ما دام فيكم، ...الحديث وفيه ان الكتاب بخط علي رضي الله عنه [٢] .ومن تراثنا العلمي نختار بعض الوقفات في ذلك.. هذا سَمُرَة بن جُنْدُب بن هلال الفَزَارِي، من علماء الصحابة، نزيل البصرة، كان الحسن وابن سيرين وفضلاء أهل البصرة يثنون عليه ويجيبون عنه، قال ابن سيرين: في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير[٣].

ولذا قال الجاحظ: ومتى كان الأديب جامعاً بارعاً، وكانت مواريثه كتباً بارعة، وآداباً جامعة، كان الولد أجدر أن يرى التعلُّم حظاً، وأجدر أن يسرع التعليمُ إليه، ويرى تركه خطأً، وأجدرَ أن يجري من الأدب على طريق قد أنهج له، ومنهاج قد وطئ له، وأجدرَ أن يسري إليه عِرقْ مَن نَجله، وسقي من غرسه، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسْب، النظر في الكتب، فلا يأتي عليه من الأيَّام مقدارُ الشغل بجمع الكتب، والاختلاف في سماع العلم، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة، وإنَّما تُفسد الكفاية من له تمت آلاته، وتوافت إليه أسبابه، فأما الحدَث الغرير، والمنقوص الفقير. فخير مواريثه الكفاية إلى أن يبلغ التمام، ويكمل للطلب، فتثيستثسصئ ضخير ميراثٍ وُرّث كتبٌ وعلم، وخير المورّثين من أورث ما يجمع ولا يفرِّق،، ويبصِّر ولا يُعمي، ويُعطي ولا يأخذ، ويجود بالكلِّ دون البعض[٤].

وأذكر كذلك ضرورة احتواء المنزل على مكتبة مهما كانت يسيرة، إلا أن كتبها تُختار من كتب التاريخ الإسلامي، وتراجم السلف وكتب الأخلاق والحِكَم والرحلات الإسلامية والفتوح ونحوها ... ولئن كانت صيدلية المنزل ضروريةً لدواء الأجسام، فالمكتبة الإسلامية في المنزل ضروريةٌ لإصلاح العقول[٥] . وأجمل ما يزين البيت ويجمله المكتبة العلمية وما يعمر بيوتنا اليوم من الاثاث والحاجات والاجهزة الكهربائية المتنوعة ليست بأفضل من المكتبة العامرة بل لاتصل الى تلك المكانة والاهمية.

ومن الأساليب العملية التي تجعل الطفل يحب القراءة:

١- القدوة الحسنة من الاب وأفراد الاسرة الذين يقرأون، ويتعاملون مع الكتاب، فإن ذلك سوف يدفعه الى تقليدهم، ويحاول أن يمسك بالكتاب وتبدأ علاقته معه.
٣- التدرج مع الطفل في القراءة .

---

[١] – ينظر :المنهاج النبوي في تربية الأطفال: ٤١٠.
[٢] – معرفة الصحابة لأبي نعيم – (١ / ٤٢٢)
[٣] – تهذيب التهذيب – (١٤ / ٢٩٤)
[٤] – الحيوان – (١ / ١٠١)
[٥] –رسائل الإمام حسن البنا: ٢/ ٥٣.

٤- مراعاة رغبات الطفل القرائية.

٥- المكان الجيد للقراءة في البيت أو المسجد، مشجعاً للقراءة تتوفر فيه الإنارة المناسبة والراحة الكاملة للطفل، كي يقرأ ويحب المكان الذي يقرأ فيه.

٦- تخصيص للطفل وقتاً يقرأ المربي للطفل فيه .

٧- استغلال الفرص والمناسبات والرحلات بتقديم القصص والكتب المناسبة هدية للطفل

٨- استغلال هوايات الطفل لدعم حب القراءة .

٩-تزويد الطفل ببعض الكتب عن الشخصيات التي يحبها، أو التي يمكن أن يحبها، وأن يتعلم المزيد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحياته ومعجزاته وصحابته والشخصيات البطولية في التاريخ الإسلامي.

١٠- متابعة المدرسة وطريقة القراءة والتعليم للطفل وعلاقته مع استاذه.

١١- تعويد الطفل على قراءة الوصفات والعلامات والعناوين العامة .

ومن الوسائل الحديثة في التعلم.

١-الحاسب الآلي الآن من الوسائل التعليمية الحديثة المهمة لتعليم الطفل، حيث توفرت الكثير من البرمجيات الحاوية للمواد العلمية المتنوعة ويمكن من خلال المعلومات سواء المبسطة أو الموسعة عن طريق البرمجيات الوصول الى المعلومة المطلوبة ويمكن استخدام الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) في الوصول إلى بعض المعلومات التي لها علاقة بموضوع الدرس وخاصة الأحداث اليومية التي تمر على العالم .

٢- آلة التسجيل: وهي مهمة لتعليم الطفل وتنمية طاقاته الصوتية والتغلب على ضعف صوته وعامل الخجل وتنمية الجرأة الادبية.

٣- جهاز الفيديو: يمكن عرض أشرطة تحتوي على مواد أو موضوعات علمية او ترفيهية متنوعة سهلة العرض والاستيعاب.

٤- جهاز العرض السينمائي: ويمكن استخدام جهاز العرض السينمائي في الأغراض يستخدم فيها جهاز الفيديو.

٥- جهاز عرض الصور الشفافة الثابتة (السلايدات): وهو يستخدم في الأغراض التي يستخدم فيها الفيديو والسينما نفسها، غير أن صور هذا الجهاز ثابتة، إلا أنها تتميز بإمكان الوقوف عند كل صورة مدة طويلة غير محدد وبنفس الوضوح.

٦- الفانوس السحري: ومهمة هذا الجهاز؛ تكبير الصور العادية، لعرضها أمام التلاميذ في الصف، أو لرسم الصورة مكبرة وبخاصة الخرائط.

٧- المصورات: ويمكن الاستفادة من المصورات المتوافرة في المدرسة وغيرها مثل الصور المكبرة للكعبة.

ومع هذه الاهمية الكبيرة للأجهزة والشاشة الالكترونية، الا أن هناك مخاطر كثيرة خصوصاً الالعاب الالكترونية ومنها.

بعض الاضرار المترتبة من الاستخدام الغير علمي للشاشة الالكترونية:

١-التعرض لشاشة الكمبيوتر ولفترات طويلة من (٦-٧) ساعات تؤثر سلباً على عين الطفل وتقوم بتدمير عقله وتسبب له الألم في الظهر والكتفين بالإضافة إلى عزله عن أقرانه مما يسبب له صعوبة في التعريف على ذاته والخجل من الآخرين وكيفية التعامل معهم وكسبهم من خلال تلك الألعاب التي تتمثل بعضها في إصابة الكائنات في اللعبة حيث تتمزق إربا وتقطع رؤوسها وتسيل دماؤها فإنها تسبب له عنفا داخلياً ينعكس أحياناً في بعض تصرفاته وسلوكياته.

٢- قد تحمل شخصيات برامج سلبية وهذا لا يتناسب مع الأطفال من حيث المحتوى والسلوك الأخلاقي.

٣- الإدمان على الألعاب الالكترونية يؤدي غالباً إلى إهمال الأطفال في مذاكرة دروسهم.

٤- أثبتت الدراسات الطبية أن الأطفال اللذين يجلسون وقتاً طويلاً أمام شاشة الحاسوب يعانون صعوبة في تركيز البصر.

٥- بروز ظواهر سلوكية غريبة حيث ينعزل الأطفال لساعات طويلة عن العالم المحيط بهم.

٦- تقليص العلاقات الاجتماعية للطفل وعدم التكيف مع الآخرين وعدم فتح المجالات للحوار.

٧- تساهم الألعاب الالكترونية في إقصاء الطفل عن عادات طيبة كان يتمتع بها وإكسابه بدلا عنها سلوكيات غير مرغوبة أسريا واجتماعيا كالسلوك الإجرامي.

٨- اسراف الطفل في التعامل مع عوالم الرمز يمكن أن يعزله عن التعامل مع عالم الواقع فيفتقد المهارة الاجتماعية في إقامة الصداقات والتعامل مع الآخرين ويصبح الطفل خجولا لا يجيد الكلام والتعبير عن نفسه.

٩- قد تؤدي هذه الألعاب بما تحمله من أخلاقيات وأفكار سلبية إلى المزيد من الانفصال الأسري والترابط الإنساني مع الآخرين وارتباط الطفل بالقيم والأخلاقيات الغربية التي تفصله عن مجتمعه وأصالته.

١٠- بعض الألعاب الإلكترونية تعزز النزعة الشريرة والعدوانية لدى الأطفال.

رأي خبراء الصحة

حذرّ خبراء الصحة من أن تعود الأطفال على استخدام أجهزة الكمبيوتر والإدمان عليها في الدراسة واللعب، ربما يعرضهم إلى مخاطر وإصابات قد تنتهي إلى إعاقات أبرزها إصابات الرقبة والظهر والأطراف، وأشاروا إلى أن هذه الإصابات تظهر في العادة عند البالغين بسبب استخدام تلك الأجهزة لفترات طويلة مترافقا مع الجلوس بطريقة غير صحيحة أمامه، وعدم القيام بأي تمارين رياضية ولو خفيفة خلال أوقات الجلوس الطويلة أمام الكمبيوتر.

ومن ناحية أخرى كشف العلماء مؤخراً أن الوميض المتقطع بسبب المستويات العالية والمتباينة من الإضاءة في الرسوم المتحركة الموجودة في هذه الألعاب، تتسبب في حدوث نوبات صرع لدى الأطفال[١].

المبحث الثاني: الاساليب الفكرية في تربية الطفل

١- رواية القصص

للقصة دور كبير في شد انتباه الطفل، ويقظته الفكرية والعقلية، وتحتل المركز الأول في الأساليب الفكرية المؤثرة في عقل الطفل، لما لها من متعة ولذة، ونجد وفرة في القصص النبوي تجاه الأطفال، عن حوادث وقعت في زمن مضى، ليتعظ بها الحاضرون، ومن بعدهم إلى يوم القيامة .

ويمتاز القصص النبوي بميزات كثيرة منها:

١-يعتمد على حقائق ثابتة وقعت في غابر الزمن، وبعيد عن الخرافات والأساطير.

٢-تبعث في الطفل الثقة بالتاريخ.

٣-تضفي على روحه الاندفاع والانطلاق، وتبني فيه الشعور الإسلامي المتدفق الذي لا يجف نبعه

٤-الإحساس العميق الذي لا يعرف البلادة من حيث الشعور بالمسؤولية وقوام الشخصية.

٥- غرس الفضائل في النفوس، وتحمل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة، والمقاصد الجليلة،

٦- تبعث في النفس إلى التأسي بذوي التضحيات والمقامات لتسمو إلى أعلى الدرجات، وأشرف المقامات[٢].

ومن أقوال أهل العلم في فضل الاسلوب القصصي.

عن الجنيد حين سئل عن مجاراة الحكايات أنه قال: الحكايات جند من جنود الله تعالى، يقوي بها قلوب المريدين.، فقيل له: فهل لك في ذلك شاهد؟ فقال: نعم، قوله عز وجل: {وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين} (١٢٠) سورة هود، وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: " الحكايات عن العلماء

---

[١] - معالم في تربية الأطفال:٥٦-٥٨ اعداد: د. محمد السقا عيد، استشاري طب وجراحة العيون. شبكة الانترنيت.

[٢] - الرسالة القشيرية ٢/ ٣٥٤

ومجالستهم أحب إلي من كثير من الفقه ؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم"[١]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل منهجاً ربانياً (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(لأعراف: من الآية١٧٦).

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم *إن التشبه بالكرام فلاح، والقصة خير وسيلة للوصول إلى ذلك ولهذا كان النبي ﷺ كثيراً ما يقص على أصحابه قصص السابقين للعظة والاعتبار.

وتهدف القصص إلى تربية النفوس وتهذيبها، وليس لمجرد التسلية والإمتاع حيث كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يأخذون من كل قصة العظة والعبرة، كما يخرجون منها بدرس تربوي سلوكي مستفاد ينفعه وينفع من بعدهم في الدارين: في دار الدنيا والآخرة. ومن المحزن ما نجده اليوم من استخدام الاعلام لأسلوب القصص قي كثير من عروضه التي تنمي الاخلاق السيئة والشخصية الوهمية وتعلم الشر بدل الخير ومن معالمه البارزة..

١- قصص تثير الفزع والرعب والرهبة:

القصص التي يغلب عليها طيف الفزع والرهبة، تترك في الذائقة اشتياقاً ممزوجاً بالجزع، وفي النفس جبناً وعقداً، وأمثال ذلك: قصص (أمناً الغولة، وقصص المردة، والعفاريت) هذه القصص تهدم الشخصية، وتقتل الحس الفكري لدى الطفل، ولا تؤسس الطفل الشجاع، ولكنها تؤسس الطفل الجبان المتخاذل، الذي يتملك الخوف من فرائسه.

٢- القصص الشعبية التي تحتوي على مواقف منافية للأخلاق:

وأمثلة ذلك: قصص (طرزان- وسوبرمان- والجاسوسية)، التي لا تحتوي على قيم إنسانية أو أخلاقية، بقدر ما تمجد العنف كوسيلة لحل المشاكل، وتجعل القوة البدنية، هي العامل الأقوى في حسم المواقف.

٣- قصص تثير العطف على قوى الشر والانتصار له في النهاية وتجعل الولد يسلك السلوك الخاطئ، ليبقى ضمن طائفة الأقوياء المنتصرين. مثال ذلك:(قصص الرجل الخارق، وسوبر مان، الرجل الحديدي، جلانديزر)

٤- القصص القائمة على السخرية من الآخرين وتدبير المقالب لهم وإيقاع الأذى بهم، منها السخرية من علة المعاق أو عيب خلقي في نطق البعض وتدبير المقالب للكبير مثلاً وإيقاع الأذى بالأعمى، بإيقاعه في فخ ما أو غيرها، دون تعظيم الأثر الواقع على المخطئ أو مدبر المقلب، ومن الأمثلة الشهيرة لهذا الفكر الخاطئ تربوياً: الأفلام المتحركة في قصة " توم وجيري[٢].

ويعود ذلك التأثير السلبي لهذه القصص وما تحمله من افكار هدامة يتعارض الكثير منها مع اخلاقنا الاسلامية وتراثنا المجيد، ان هذه القصص والافلام تنطلق من اصل اعلامي تجاري غير قائم على اسس أخلاقية، هدفها الشهرة والكسب فضلاً عن محاولة لبناء الشخصية الانسانية وفق الفكر الذي يدعو اليه وما يحمل من مكر ضد ابناء الاسلام. ولعدم وجود الاعلام البناء الرصين بكل مجالاته وفق قواعد الاخلاق والسلوك لأمتنا الاسلامية، وجزء كبير من العلاج لذلك الاعلام السيء لابد من ايجاد البديل من الشاشة والعرض النافع لأبنائنا أن أردنا حسن البناء والصناعة لقادة مستقبلنا.

ولنا ان نورد بعض القصص النبوية على سبيل المثال لا الحصر وما تحوي هذه القصص من العبر والعظات.

١- قصة الأقرع والأبرص والأعمى:

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ ثَلاَثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، قَالَ: وَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

---

[١] - جامع بيان العلم وفضله - مؤسسة الريان ١/ ٢٥١(٢) .

[٢] - ينظر: المنهاج النبوي في تربية الأطفال: بتصرف:٦٤٣.

قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ، فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلَةً، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى، فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، وَأُنْتِجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ بِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ الْمَالَ؟ فقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: ثُمَّ أَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا، قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا، فقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ.[1]

ناقة عشراء، إذا كانت حاملا، وقيل: إذا أتى عليها لحملها عشرة أشهر.

شاة والدا، الشاة الوالد: هي التي قد عرف منها كثرة الولد والنتاج.

فأنتج، أنتجها: أي قبلها وافتقدها عند الولادة، هكذا جاء لفظ الحديث أنتج، وإنما يقال: نتجت الناقة أنتجها، والناتج للنوق كالقابلة للنساء وقوله: وولد هذا أي فعل في شاته كما فعل ذلك في إبله وبقره.

الحبال: جمع حبل، وهو العهد والذمام والأمان، والوسيلة، وكل ما يرجو منه خيرا أو فرجا، أو يستدفع به ضررا، والحبل: السبب، فكأنه قال: انقطعت بي الأسباب.

فلا بلاغ: أي ليس لي ما أبلغ به غرضي.

كابرا عن كابر: أي ورثته عن آبائي وأجدادي.

لا أجهدك: أي لا أشق عليك في الأخذ والامتنان.

وفِي الحَدِيث جَواز ذِكر ما اتَّفَقَ لِمَن مَضَى لِيَتَّعِظ بِهِ مَن سَمِعَهُ ولا يَكُون ذَلِكَ غِيبَة فِيهِم، ولَعَلَّ هَذا هُو السِّرّ فِي تَرك تَسمِيَتهم، ولَم يُفصِح بِما اتَّفَقَ لَهُم بَعد ذَلِكَ، والَّذِي يَظهَر أَنَّ الأَمر فِيهِم وقَعَ كَما قالَ المَلَك.

وفِيهِ التَّحذِير مِن كُفران النِّعَم والتَّرغِيب فِي شُكرها والاعتِراف بِها وحَمد الله عَلَيها.

وفِيهِ فَضل الصَّدَقَة والحَثّ عَلَى الرِّفق بِالضُّعَفاءِ وإِكرامهم وتَبلِيغهم مَآرِبهم، وفِيهِ الزَّجر عَن البُخل، لأَنَّهُ حَمَلَ صاحِبه عَلَى الكَذِب، وعَلَى جَحد نِعمَة الله تَعالَى.[2]

٢- قصة ذي الكفل:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، يَقُولُ: كَانَ ذُو الْكِفْلِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ، فَهَوِيَ امْرَأَةً، فَرَاوَدَهَا عَلَى نَفْسِهَا، وَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا، فَلَمَّا جَلَسَ مِنْهَا، بَكَتْ وَأُرْعِدَتْ، فقَالَ لَهَا: مَا لَكِ؟ فَقَالَتْ:

---

[1] - صحيح البخاري - (٣ / ١٢٧٦) وصحيح مسلم - (٤ / ٢٢٧٥)

[2] - فتح الباري- تعليق ابن باز - (٦ / ٥٠٣)

إِنِّي وَاللَّهِ لَمْ أَعْمَلْ هَذَا الْعَمَلَ قَطُّ، وَمَا عَمِلْتُهُ إِلاَّ مِنْ حَاجَةٍ، قَالَ: فَنَدِمَ ذُو الْكِفْلِ، وَقَامَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ شَيْءٌ، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، وَجَدُوا عَلَى بَابِهِ مَكْتُوبًا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ.[١]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: " كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنَ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ أَكْرَهْتُكِ؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ هَذَا عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ، وَإِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ الْحَاجَةُ، قَالَ: فَتَعْمَلِي هَذَا وَلَمْ تَفْعَلِيهِ قَطُّ، فَاذْهَبِي فَهُوَ لَكِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَا أَعْصِي اللهَ أَبَدًا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِهِ: قَدْ غَفَرَ اللهُ لِلْكِفْلِ "[٢]

٣- قصة جرة الذهب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةَ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ عَنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ أَرْضًا وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ ذَهَبًا، وَقَالَ الَّذِي بَاعَ الأَرْضَ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، قَالَ: فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: غُلاَمٌ، وَقَالَ الآخَرُ: جَارِيَةٌ، فَقَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلاَمَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا، وَتَصَدَّقَا.[٣]

ومن فوائد القصة: أداء الأمانة وتعليم القناعة والاحتكام الى اهل العلم وحل النزاع .

وهنالك القصص الكثيرة ومنها...

١. قصة يونس في بطن الحوت
٢. قصة أبي هريرة مع الشيطان
٣. قصة خشبة المقترض
٤. قصة الثلاثة أصحاب الغار
٥. قصة أصحاب الأخدود
٦. قصة أنس مع سر النبي ﷺ
٧. قصة عبد الله بن عمر مع الراعي...قل له أكلها الذئب.
٨. قصة أم موسى
٩. قصة عمر واللبن
١٠. قصة يوسف
١١. قصة معاذ ومعوذ
١٢. قصة القُبّرة
١٣. قصة الجمل.
١٤. قصة ابن عمر والنخل.

[١] – سنن الترمذي – (٤ / ٦٥٧) وصحيح ابن حبان – (٢ / ١١٢) (٣٨٧) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح غير عبد الله بن عبد الله.

[٢] – شعب الإيمان – (٥ / ٤١٣)

[٣] – صحيح البخاري– (٣ / ١٢٨١) وصحيح مسلم – (٣ / ١٣٤٥)

٢- الخطاب المباشر للطفل

إن الخطاب المباشر في مخاطبة عقل الطفل، وتبيين الحقائق له، وترتيب المعلومات الفكرية ليحفظها مع فهمها، يجعل من الطفل أشد قبولاً، وأكثر استعداداً للتلقي، أما اللف والدوران فليس له في التعامل مع الطفل نصيب، وهكذا علمنا رسول الله ﷺ أن نتوجه إلى الطفل في كثير من المناسبات بالخطاب المباشر بصراحة ووضوح.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا غُلامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"[١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا غُلامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟ فَقُلْتُ: بَلَى . فَقَالَ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"[٢].

فالرسول ﷺ يباشر إلى الموضوع الذي يريده، فيقول للطفل: "إني أعلمك" فالرسول ﷺ يعلم الطفل "كلمات " مختصرة مفيدة، لا طول فيها، ولاملل، وذلك انسجام مع طبيعة الطفل الفكرية، التي تتطلب الكلمات القصيرة، الموجزة، الجامعة، الغنية بالمعاني والأفكار.

وإذا تأملنا في طبيعة الكلمات التي وجهها الرسول ﷺ وجدناها تشكِّلُ للطفل قواعد فكرية عقدية، أساسية في حياته الحاضرة الطفلية، وفي شبابه المرتقب بعد حين.

أرأيت إلى جمال هذا الخطاب المباشر الذي ابتدأ في شد انتباه الطفل بكلمة: " (يا غلام) التي تثير انتباه الطفل، وتشعره بنشوة اهتمام الآخرين به، مثلما يشعر الشباب عندما يسمعون النداء: ((يا معشر الشباب)).

ثم هل رأيت بياناً جامعاً شاملاً، يخاطب عقل الطفل مثل هذا الخطاب؟!وهل قرأت أو سمعت مثل هذه القواعد الكلية التي تؤسس فكر وعقل الطفل ؛لتكون مرتكزاً له في مواجهة أعباء الحياة؟ كذلك فإن الرسول ﷺ ليرشد الطفل بخطابه المباشر إلى طريقة عملية، ليتخلص من أدران أمراض القلب كالحسد والبغضاء والحقد والكيد، وذلك بتسلسل فكري عجيب[٣].

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ"[٤]، وهنا استخدم النبي ﷺ عبارة ((يا بني)) وذلك لإثارة مشاعر الطفل ن وشد انتباهه له، واستيقاظه إلى سماع الحديث.

---

[١] – مسند أحمد بن حنبل – (١ / ٢٩٣) وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي

[٢] – مسند أحمد بن حنبل – (١ / ٣٠٧) وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: صحيح

[٣] – ينظر: منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور عبد الحفيظ:١١٦

[٤] – سنن الترمذي – (٥ / ٤٦) وقال الامام الترمذي: هذا حسن غريب من هذا الوجه.

وفي استعراض بيان الرسول ﷺ هذا نجد طريقة الإقناع التي استخدمها مع الطفل، وكيف رتب له المعلومات ليحفظها، وتسلسل معه في الحديث ليفهمه، ويستفيد منه في خطاب مباشر له، وفي جو هادئ مريحٍ، وفي إثارة عجيبة بكلمة: ((يا بني))[١].

٣- مخاطبة الطفل على قدر عقله

الطفل كأي كائن حيٍّ، له حدود لا يستطيع تجاوزها، وعقله وفكره ما زال في ريعان النمو والتوسع، وإدراك الوالدين والمربين إلى درجة نمو عقل الطفل التي وصل غليها، يسهّل عليهم حلَّ كثير من المشاكل التي تعترضهم أثناء تربيته، إذ عندما يعرفون متى يخاطبونه، والكلمات التي يستعملونها، والأفكار التي يقدمونها.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة .ومن تلك المواقف...

ما ورد عَنْ أَنَسٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا، قَالَ: فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ.قَالَ: فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غُلاَمٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، فَإِذَا ضَرَبُوهُ، قَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ، قَالَ: مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ. وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَتَضْرِبُونَهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُونَهُ إِذَا كَذَبَكُمْ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ، يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٢].

وهذا مثال آخر، حيث نادى الرسول ﷺ بنتاً صغيرة باللغة الحبشية التي تفهمها، ولو كلمها بغير ذلك لما فهمت قصده، فعن أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ قَالَتْ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِثِيَابٍ فِيهِ خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: "مَنْ تَرَوْنَ أَكْسُو هَذِهِ؟ " فَسَكَتِ الْقَوْمَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ" قَالَتْ: فَأُتِيَ بِي فَأَلْبَسَنِيهَا بِيَدِهِ وَقَالَ: "أَبْلِي وَأَخْلِقِي "يَقُولَهُمَا مَرَّتَيْنِ وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَلَمٍ فِي الْخَمِيصَةِ أَصْفَرَ وَأَحْمَرَ وَيَقُولُ: "يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سِنًّا وَالسَّنَا بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْحَسَنُ"[٣].

وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنًى تُغَنِّيَانِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُسَجًّى بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْهُ وَقَالَ: دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ وَأَنَا جَارِيَةٌ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْعَرِبَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ"[٤].

وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِدُفَّيْنِ، وَتُغَنِّيَانِ فِي أَيَّامِهِمَا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَتِرٌ بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَوْبَهُ وَقَالَ: دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَمَّا قَدِمَ وَفْدُ الْحَبَشَةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَامُوا يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَسْأَمُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ[٥].

---

[١] -ينظر: منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور عبد الحفيظ:١١٦-١١٧

[٢] - صحيح مسلم - (٣ / ١٤٠٣) ومصنف ابن أبي شيبة - (٧ / ٣٦٢)

[٣] - صحيح البخاري - (٥ / ٢١٩٨) وشعب الإيمان - (٥ / ١٨٢)

[٤] - صحيح البخاري - (٥ / ٢٠٠٦) وصحيح مسلم-ن - (٢ / ٦٠٧)

[٥] - صحيح البخاري- (٥ / ٢٠٠٦) وصحيح مسلم-ن - (٢ / ٦٠٧)

ومن الأمثلة الحياتية: أنه حينما كان يقصِّر أنس رضي الله عنه في خدمة النبي ﷺ، أو ينسى أمراً، فيعاقبه أهل النبي ﷺ، فإذا برسول الله ﷺ المدرك لحدود طاقة الطفل، يمنعهم من ذلك، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فَتَوَانَيْتُ عَنْهُ، أَوْ ضَيَّعْتُهُ، فَلاَمَنِي، فَإِنْ لاَمَنِي أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلاَّ قَالَ: دَعُوهُ، فَلَوْ قُدِّرَ، أَوْ قَالَ: لَوْ قُضِيَ، أَنْ يَكُونَ كَانَ[١].

فهذا يعني أن الطفل ذو طاقة فكرية وحسمية محدودة، فمطالبته بأعمال تفوق قدرته يعني: استنبات البذور في الهواء، وحتى في الممازحة، فقد كان ﷺ يمازح الأطفال على قدر طاقتهم العقلية والفكرية، فيمازحهم بأشياء يحسونها ويدركونها وتعرفونها، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ يُكَنَّى أَبَا عُمَيْرٍ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟[٢].

والنغير: تصغير نغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار.

وإذا خاطبنا الطفل فوق طاقته الفكرية، سنجد عندها التمرد والمشاكسة، والعناد، والبلادة أحياناً، أرأيت لو أن رجلاً يأمرك بأمر بغير لغة تعرفها، فلا تستجيب له، فينهال عليك ضرباً ولكماً، هل هذا من العدل بمكان؟ وهكذا الطفل[٣].

٤- الحوار الهادئ

إن الحوار الهادئ ينمي عقل الطفل، ويوسع مداركه، ويزيد من نشاطه في الكشف عن حقائق الأمور، ومجريات الحوادث والأيام، وإن تدريب الطفل على المناقشة والحوار يقفز بالوالدين إلى قمة التربية والبناء، وعندها يستطيع الطفل أن يعبر عن حقوقه، وبإمكانه أن يسأل عن مجاهيل لم يدركها، وبالتالي تحدث الانطلاقة الفكرية له، فيغدو في مجالس الكبار، فإذا لوجوده أثرٌ، وإذا لآرائه الفكرية صدىً في نفوس الكبار؛ لأنه تدرب في بيته مع والديه على الحوار، وأدبه وطرقه وأساليبه، واكتسب خبرة الحوار من والديه، أما ما يفعله بعضُهم بإلزام الطفل السكوت الدائم، ليدل على التذيب الأخلاقي، والصمت التام، والأدب الرفيع، فإن هذا طيب وجيد بشرط أن تكون للطفل القدرة على التعبير عن أفكاره، واستطاعته الحوار بأدب، وخلُقٍ جمٍّ، ورسول الله ﷺ حاور الطفل بهدوء، وروية عمدما سأله عن عدد الجيش – كما تقدم – أما الصحابة فكانوا يضربونه فلا يجيبهم[٤].

ورسول الله ﷺ حاور الفتى المقبل على طلب الزنى بشكل هادئ، فقام الفتى وقد أبغض الزنى بغضاً شديداً، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا . قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ . قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ . قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[٥].

---

[١] – مسند أحمد بن حنبل – (٣ / ٢٣١) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح رجاله رجال الصحيح وفيه انقطاع فإن عمران القصير – وهو ابن مسلم – لم يسمع من أنس وإنما رآه رؤية

[٢] – صحيح البخاري – (٥ / ٢٢٧٠) صحيح مسلم–ن – (٣ / ١٦٩٢).

[٣] – ينظر: منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور عبد الحفيظ: ١١٩

[٤] – ينظر: منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور عبد الحفيظ: ١١٩

[٥] – مسند أحمد بن حنبل– (٥ / ٢٥٦) تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح

وهذا مثال آخر، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَقُمْتُ وَرَاءَهُ، فَأَخَذَنِي فَأَقَامَنِي حِذَاءَهُ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ انْخَنَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: مَا لَكَ؟ أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ، قُلْتُ: مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّي حِذَاءَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَأَعْجَبَهُ فَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَزِيدَنِي فَهْمًا وَعِلْمًا"[١].

ويحاور ﷺ طفلا يريد الدخول في المعركة بكل هدوء وروية، ويسمع رأيه، وينصفه، فعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ: أَتَتْ بِى أُمِّى فَقَدِمَتِ الْمَدِينَةَ فَخَطَبَهَا النَّاسُ فَقَالَتْ: لاَ أَتَزَوَّجُ إِلاَّ بِرَجُلٍ يَكْفُلُ لِى هَذَا الْيَتِيمَ فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَعْرِضُ غِلْمَانَ الأَنْصَارِ فِى كُلِّ عَامٍ فَيُلْحِقُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ قَالَ وَعُرِضْتُ عَامًا فَأَلْحَقَ غُلاَمًا وَرَدَّنِى فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَلْحَقْتَهُ وَرَدَدْتَنِى وَلَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ قَالَ: « فَصَارِعْهُ ». فَصَارَعْتُهُ فَصَرَعْتُهُ فَأَلْحَقَنِى"[٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي، وَمَا رَأَيْتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا"[النصر آية ١،٢]، حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ: لا نَدْرِي، وَلَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، كَذَلِكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلَّمَهُ اللَّهُ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلامَةُ أَجَلِكَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلا مَا تَعْلَمُ[٣].

أرأيت يا أخي! خليفة المسلمين، ورئيس أكبر دولة في العالم، وعمر وما أدراك ما معر بقوته في الحق؟ ! يستشير في الأمور المهمة، هؤلاء الذين لا تأبه لهم بالاً، وتنظر إليهم من علٍ، هؤلاء الأطفال الذين يحاورهم رسول الله ﷺ، ويناقشهم أمير المؤمنين، فهلمَّ إلى الحوار الهادئ مع طفلك تناقشه في ودٍّ، وتسمع إلى رأيه بأناة وحلم، كما سمع وحاور الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقد ذكر بعضُ الرُواة أنه لما اسْتُخْلِفَ عمرُ بن عبد العزيز، ﷺ، قَدِمَ عليه وُفُودُ أهلِ كلِّ بلد؛ فتقدَّم إليه وَفْدُ أهلِ الحجاز، فأشْرَأب منهم غلامٌ للكلام، فقال عمر: يا غلام، ليتكلمْ مَنْ هو أَسَن منك! فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، إنّما المرءُ بأَصغريه، قلبهِ ولسانِهِ، فإذا مَنَح اللَّهُ عبدَه لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد أجاد له الاختيار؛ ولو أن الأمور بالسن لكان هاهنا مَنْ هو أحق بمجلسك منك.

فقال عمر: صدقت، تكلّم؛ فهذا السحْرُ الحلال! فقال: يا أمير المؤمنين، نحن وفد التهنئة لا وَفْدُ الْمَرْزِئة، ولم نُقْدِمْنا إليك رغبةٌ ولا رهبة؛ لأنا قد أمِنا في أيامك ما خِفْنا، وأدركْنا ما طلبنا! فسأل عمر عَنْ سِنّ الغلام، فقيل: عشر سنين[٤].

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى فِي بَيْتِ ابْنَةِ أُمِّ الْفَضْلِ، فَعَطَسْتُ وَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ ابْنِي عِنْدَكَ فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَّهَا فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكِ عَطَسَ فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ تَعَالَى ؛ فَلَمْ أُشَمِّتْهُ، وَإِنَّهَا عَطَسَتْ فَحَمَدَتِ اللَّهَ تَعَالَى فَشَمَّتُّهَا، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلاَ تُشَمِّتُوهُ فَقَالَتْ: أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ"[٥].

ولأهمية الحوار ينبغي مراعاة الجانب النفسي للشخص المحاور قبل البدء بالمحاورة وإعداد الجو النفسي الملائم لذلك حتى لا يؤثر سلباً على عملية الحوار ومن ذلك.

---

[١] – مسند أحمد بن حنبل – (١ / ٣٣٠) تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين

[٢] – المستدرك – (٢ / ٦٩): تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح

[٣] – صحيح البخاري – (٤ / ١٥٦٣)

[٤] – تاريخ دمشق – (٣ / ٤٤٢) والرسالة القشيرية ١/ ٣١٥ .

[٥] – صحيح مسلم – (٤ / ٢٢٩٢) مسند أحمد بن حنبل–ن – (٤ / ٤١٢).

١- يفضل اختيار المكان والزمان الملائم للحوار وتحديد ذلك قبل البدء بالحوار واستغلال الفرصة الجيدة لنجاح الحوار وتحقيق أهدافه مع مراعاة ظروف الطقس من البرودة والحرارة والبعد عن الضجيج والأجواء الجماعية الغوغائية كالأسواق فقد يضيع الحق بسبب التبعية للأكثرية وليس للحق .وتحديد الوقت الكافي للحوار فلا إطالة تضيع هدف الحوار وتدخل فيه ما ليس منه ولا إختصاراً يخل بمعانيه وآدابه وتحقيق مقاصده ومن الشواهد القرآنية على ذلك، الموعد الذي حدده موسى عليه الصلاة والسلام للتحدي والمناظرة مع السحرة فقد أختار الوقت المناسب:(قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى)طه (٥٩) ..واختار الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة، يأخذ فيه الناس في مصر زينتهم، ويتجمعون في الميادين والأمكنة المكشوفة «قالَ: مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ». وطلب أن يجمع الناس ضحى، ليكون المكان مكشوفا والوقت ضاحيا. فقابل التحدي بمثله وزاد عليه اختيار الوقت في أوضح فترة من النهار وأشدها تجمعا في يوم العيد. لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجميع قد غادروا البيوت. ولا في الظهيرة فقد يعوقهم الحر، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤية[١].

٢- مراعاة الجانب النفسي للمحاور من حيث التعب والإرهاق والجوع والعطش والمرض والهم والحزن فلا ينبغي الشروع في الحوار في مثل هذه الظروف كما ورد في النهي عن الصلاة في أوقات وظروف خاصة مراعاة لنفسية الشخص، فعن أمنا عائشة رضي الله عنها أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال(لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ ولا هو يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ)[٢]حتى لا ينشغل وتذهب عنه طمأنينة الصلاة وخشوعها وجمالها ويقاس على ذلك كثير من الأمور.

٣- التعارف بين الطرفين، فلابد لكل طرف من معرفة الطرف المقابل من خلال التعرف على أسمه، أحواله، مكانته الاجتماعية والعلمية لان ذلك أدعى لتقبل أحدهما الآخر والاطمئنان إليه والتفاعل معه ومن الشواهد القرآنية على ذلك ما جاء في قصة موسى علية الصلاة والسلام في قوله تعالى (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طوي)[٣] قال الزمخشري: تكرير الضمير في(إِنِّي أَنَا رَبُّكَ) لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة[٤]وقوله تعالى في سورة يس(فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ)[٥].

ومن شواهد السنة النبوية حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه حين قدم مكة يبحث عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما لقيه وعرفه مال إلى الإسلام فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى قومه إلى حين ظهور الإسلام فجاء بعد ذلك إلى المدينة وقال يا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي قال (نعم أنت الذي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ) ومنها حديث وَفْدَ عبد الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النبي صلى الله عليه وسلم قال (من الْقَوْمُ أو من الْوَفْدُ) قالوا رَبِيعَةُ قال (مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أو بِالْوَفْدِ غير خَزَايَا ولا نَدَامَى)[٦]، قال بن أبي جمرة في قوله من القوم: دليل على استحباب سؤال القاصد عن نفسه ليعرف فينزل منزلته[٧].

٤- طرح بعض الأسئلة في مقدمة الحوار خارجة عن الموضوع لتهيئة نفسية الطرف الأخر وتعريفه بالمحاور وشخصيته العلمية، قال ابن الجوزي في بيان الفائدة من سؤال الله تعالى لموسى (وما تلك بيمينك يا موسى) وهو يعلم (..القول

---

[١] – في ظلال القران:٤/٢٣٤٠

[٢] – صحيح مسلم: ١/٣٩٣

[٣] – سورة طه الاية (٢٠)

[٤]– الكشاف: ج٣/ص٥٦

[٥] – سورة يس الاية(١٤)

[٦] – صحيح البخاري ١/٢٩ وصحيح مسلم ١/٤٧

[٧] – فتح الباري ج١/ص١٣١

الثاني، أنه لما أطلع الله تعالى على ما في قلب موسى من الهيبة والإجلال حين التكليم أراد أن يؤانسه ويخفف عنه ثقل ما كان فيه من الخوف فأجرى هذا الكلام للاستئناس)[١].

٥-استخدام المقدمات اللطيفة لتهيئ نفسية الشخص المحاور وشد انتباه ليتقبل الحوار ولو بكلمة أو كلمتين كما جاء في حديث مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه قال بَيْنَا أنا رَدِيفُ النبي صلى الله عليه وسلم ليس بَيْنِي وَبَيْنَهُ إلا آخرة الرَّحْلِ فقال(يا مُعَاذُ قلت لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قال يا مُعَاذُ قلت لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قال يا مُعَاذُ قلت لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قال هل تَدْرِي ما حَقُّ اللَّهِ على عِبَادِهِ قلت الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال حَقُّ اللَّهِ على عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا بِهِ شيئا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قال يا مُعَاذُ بن جَبَلٍ قلت لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فقال هل تَدْرِي ما حَقُّ الْعِبَادِ على اللَّهِ إذا فَعَلُوهُ قلت الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال حَقُّ الْعِبَادِ على اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ)[٢].

٥- تدريب حواس الطفل بالتجارب العملية

إن تدريب حواس الطفل يكسبه معرفة وعلماً، فعندما يبدأ بالنمو، ويبتدئ بتشغيل يديه في عمل من الأعمال، فإن ذلك يثير في عقله اليقظة، فيشاهد أمامه كيف يدرب حواسه، ويعيد هو بنفسه ذلك العمل، وهكذا يتقن العمل، ويتطلع إلى إجادة العمل خطوة خطوة.

ورسول الله ﷺ رأى طفلاً يسلخ شاة، وما يحسِنُ، فما كان منه ﷺ إلا أن شمَّر عن ساعديه، وبدأ بسلخ الشاة أمام الطفل، وراح الطفل يتأمل الكيفية، ويعمل عقله في ذلك، ويركز ذهنه في التعليم في التعليم من رسول الله ﷺ.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِغُلاَمٍ يَسْلُخُ شَاةً، فَقَالَ لَهُ: تَنَحَّ حَتَّى أُرِيَكَ، فَإِنِّي لاَ أَرَاكَ تُحْسِنُ تَسْلُخُ، قَالَ: فَأَدْخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ، فَدَحَسَ بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الإِبْطِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: هَكَذَا يَا غُلاَمُ فَاسْلُخْ، ثُمَّ انْطَلَقَ فَصَلَّى، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَلَمْ يَمَسَّ مَاءً."[٣] والامثلة العملية في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة وفي مختلف جوانب جوانب العبادة والحياة العامة. ففي تعليم الوضوء يحدثنا الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه.

عن ابن عباس: أنه توضأ فغسل وجهه ثم أخذ غرفة من ماء فمضمض بها واستنشق ثم أخذ غرفة من ماء فجعل بها هكذا أضافها إلى يده الأخرى فغسل بهما وجهه ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى ثم مسح رأسه ثم أخذ غرفة من ماء فرش بها على رجله اليمنى حتى غسلها ثم أخذ غرفة أخرى فغسل بها رجله يعني اليسرى ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ[٤] وفي تعليم الصلاة، حديث المسيء في صلاته، وكيف امره النبي صلى الله عليه وسلم بإعادة الصلاة مرات عديدة حتى اتقنها.

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل فصلى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد وقال (ارجع فصل فإنك لم تصل) . فرجع يصلي كما صلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال (ارجع فصل فإنك لم تصل) . ثلاثا فقال والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني؟ فقال(إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم

---

[١] - زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة: ج٥/ص٢٧٨

[٢] - صحيح البخاري- (٥ / ٢٢٢٤) صحيح مسلم - (١ / ٥٨)

[٣] - صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط: (٣ / ٤٣٨) قوله: فدحس بها إلى الإبط أي أدخل ملئ يده بذراعها إلى الإبط والدحس كالدس ويقال للسنبلة إذا امتلأت واشتد حبها قد دحست، ومعنى الوضوء في هذا الحديث غسل اليد والله أعلم. تفسير سنن أبي داود (معالم السنن) لأبي سليمان الخطابي - (١ / ٥٩)

[٤] - صحيح البخاري- (١ / ٦٥)

اقرأ ما تيسر معك من القران ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا وافعل ذلك في صلاتك كلها)[١].

وفي بيان حقيقة الدنيا وهوانها وأنه لا تعدل جناح بعوضة، ترك لنا هذا الدرس العملي المؤثر...

عن جابر بن عبدالله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفته فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال أتحبون أنه لكم؟ قالوا والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت؟ فقال فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم[٢]، والاسك: صغير الاذن.

وفي الدعوة الى الاخوة والترابط والتعاون... عن أبي موسى رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا). وشبك بين أصابعه.[٣] ومعلوم ما للحركة من تأثير نفسي على المتلقي.

وبمثل هذه التجارب العملية في تدريب الطفل يمكن أن تتفتح آفاق معرفته، وتتوسع مدارك ذهنه وعقله.

٦- شد الطفل إلى شخصية ثابتة قدوة له هو رسول الله ﷺ

إن من أعظم الاساليب المؤثرة في بناء شخصية الانسان وجود القدوة العملية أمامه، يقتدي بها ويرى فيا التمثيل الاوفى والاعظم لما يسمع ويؤمر به من العبادة والاخلاق الفاضلة وقد حث القران على التأسي والاقتداء بأعظم شخصية في الاسلام وهو النبيﷺ قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)[الأحزاب: ٢١] وكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يرون القدوة العملية التطبيقية لكل ما يؤمرون به من العبادات، من الصلاة والانفاق والتضحية والاقدام والتفاني في خدمة الاخرين والحرص على مصالح الامة، ولنا ان نختار بعض الامثلة العملية من ذلك.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَقُلْتُ: لأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلاَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطُرِحَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وِسَادَةٌ فَنَامَ فِي طُولِهَا وَنَامَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، أَوْ قَبْلَهُ، أَوْ بَعْدَهُ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الآيَاتِ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ حَتَّى خَتَمَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَتَى شَنًّا مُعَلَّقًا، فَأَخَذَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِي فَجَعَلَ يَفْتِلُهَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ"[٤].

إن ربط الطفل بشخص رسول الله ﷺ والاقتداء به، وغرس حبه، والاهتداء بحديث النبي ﷺ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله، يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه[٥]، وإن تعلق الطفل بالرسول ﷺ يجعل منه إنساناً سويًّا، ويفتح ذهنه ومداركه على سيرة إمام الرسل، وقائد البشرية، وحبيب الرحمن، ويتوقد عقله بالنور الإيماني، ويفهم هذا التاريخ المجيد، فيرفع راسه عالياً بانتمائه إلى رسول الله ﷺ.

وإذا علمنا سخافة الغرب بتنشئة الطفل على التمسك بالشخاص الخياليين مثل (سوبرمان) وغيره أدركنا عظم أهمية ربط عقل الطفل بشخص رسول الله ﷺ، ويكفي أن تقدم سيرته وسلوكه وغزواته أمام الأطفال ليسارع الطفل إلى حب نبيه

---

[١] - صحيح البخاري- (١ / ٢٦٣)

[٢] - صحيح مسلم- (٤ / ٢٢٧٢)

[٣] - صحيح البخاري- (٢ / ٨٦٣)

[٤] - مسند أحمد بن حنبل - (١ / ٣٥٨) تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين

[٥] - كشف الخفاء - (١ / ٧٤) والحديث ضعيف.

والاقتداء به، والتمسك بسلوكه ﷺ، والابتعاد عن الشرذمة الفاجرة التي تريد أن تصنع من أنفسها أبطالاً وفاتحين، وما هم بأبطال ولا فاتحين، بل خونة متآمرين[١].

المبحث الثالث: نماذج من اطفالنا عبر التأريخ

١- سفيان بن عيينة:

عن احمد بن النضر الهلالي قال: سمعت أبى يقول كنت في مجلس سفيان بن عيينة فنظر الى صبي دخل المسجد فكأن أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه فقال سفيان كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ثم قال يا نضر لو رأيتني ولى عشر سنين طولى خمسة أشبار ووجهى كالدينار وانا كشعلة نار ثيابي صغار واكمامى قصار وذيلى بمقدار ونعلى كآذان الفار أختلف الى علماء الأمصار مثل الزهرى وعمرو بن دينار أجلس بينهم كالمسمار محبرتى كالجوزة ومقلمتي كالموزة وقلمى كاللوزة فإذا دخلت المجلس قالوا اوسعوا للشيخ الصغير قال ثم تبسم بن عيينة وضحك قال احمد وتبسم أبى وضحك قال عمار وتبسم أحمد وضحك قال أبو الحسن السلامى وتبسم عمار وضحك قال القاضى وتبسم السلامى وضحك وتبسم أبو العلاء وضحك وتبسم أبو بكر الحافظ وضحك وتبسم شيخنا أبو عبد الله وضحك قال سيدنا بن المقدسي وتبسم شيخنا الامام الحافظ أبو طاهر السلفي وضحك.. وعن عبد الله بن احمد بن حنبل قال سألت أبى متى يجوز سماع الصبي في الحديث فقال إذا عقل وضبط قلت فإنه بلغني عن رجل سميته انه قال لا يجوز سماعه حتى يكون له خمس عشرة سنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم رد البراء وابن عمر استصغرهم يوم بدر فأنكر قوله هذا وقال بئس القول يجوز سماعه إذا عقل فكيف يصنع بسفيان بن عيينة ووكيع وذكر أيضا قوما[٢].

٢- الإمام الشافعي رحمه الله:

قال محمد بن عبدالله بن عبدالحكم أخبرني بعض أصحابنا أن الشافعي قال لم يكن لي مال كنت أطلب العلم في الحداثة فكنت أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور أكتب عليها[٣].

وعن الشافعي: أنه كان في مجلس مِالك بن أنس، وهو غلام، فجاء رجل إلى مالك، فاستفتاه، فقال: إني حلفت بالطلاق الثلاث إن هذا البلبل لا يهدأ من الصياح.قال: فقال له مالك: قد حنثت. فمضى الرجل. فلتفت الشافعي إلى بعض أصحاب مالك، فقال: إن هذه الفتيا خطأ. فأخبر مالك بذلك. قال: وكان مالك مهيب المجلس، لا يجسر أحد أن يراده، وكان ربما جاء صاحب الشرطة، فيقف على رأسه إذا جلس في مجلسه. قال: فقالوا لمالك: إن هذا الغلام الشافعي يزعم أن هذه فتيا إغفال أو خطأ، فقال له مالك: من أين قلت هذا؟ فقال له الشافعي: أليس أنت الذي رويت لنا عن النبي ﷺ في قضية فاطمة بنت قيس أنها قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَمَا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ"[٤]، وإنما أراد الأغلب من ذلك. قال: فعرف مالك محل الشافعي ومقداره. قال الشافعي: فلما أردت أن أخرج المدينة جئت إلى مالك، فودعته، فقال لي مالك حين فارقته: يا غلام، اتق الله، ولا تطفئ هذا النور الذي أعطاكه الله بالمعاصي. يعني بالنور: العلم، وهو قول الله – عز وجل –: "{.. وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} (٤٠) سورة النور"[٥].

---

[١] – ينظر: كتاب منهج التربية النبوية للطفل: (١٢٤)

[٢] – الكفاية في علم الرواية – (١ / ٦١)

[٣] – حلية الأولياء – (٩ / ٧٧)

[٤] – صحيح مسلم– (٢ / ١١١٤) وصحيح ابن حبان – (٩ / ٣٥٦) (٤٠٤٩)

[٥] – تاريخ دمشق – (٥١ / ٧٠)

٣- أبو يوسف صاحب أبي حنيفة:

قال أبو يوسف: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقلّ، رثّ الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه، فقال: يا بني ! لا تمدّن رجلك مع أبي حنيفة، فإن أبا حنيفة خبزه مشويّ، وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فجعلت أتعاهد مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري، قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش، وطاعة والدي، فجلست، فلما انصرف الناس دفع إليّ صرّة وقال: استمتع بهذه، فنظرت فإذا فيها مئة درهم، فقال لي: الزم الحلقة وإذا نفذت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مئة أخرى، ثم كان يتعاهدني، وما أعلمته بخلّة قط، ولا أخبرته بنفاد شيء ما، وكان كأنه يخبر بنفادها حتى استغنيت وتموّلت.

وهناك رواية ثانية في نشأة الإمام أبي يوسف: قال علي بن الجعد: أخبرني أبو يوسف، قال: توفي أبي إبراهيم بن حبيب وخلفني صغيرا في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصّار أخدمه، فكنت أدع القصّار وأمرّ إلى حلقة أبي حنيفة، فأجلس أستمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي، وتذهب بي إلى القصّار، وكان أبو حنيفة يعنَى بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي، وطال عليها هربي، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبيّ فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أطعمه من مغزلي، وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُرِّي يا رعناء ! هو ذا يتعلّم أكل الفالوذج بدهن الفستق، فانصرفت عنه، وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك.

قال أبو يوسف: ثم لزمت أبا حنيفة، وكان يتعاهدني بماله، فما ترك لي خلّة، فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلّدت القضاء، وكنت أجالس هارون الرشيد، وآكل معه على مائدته.

فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون الرشيد فالوذج، فقال لي هارون: يا يعقوب ! كل منه، فليس يعمل لنا مثله كل يوم، فقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا فالوذج بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي: مم ضحكت؟ فقلت: خيراً أبقى الله يا أمير المؤمنين، قال: لتخبرني، وألحَّ عليَّ، فأخبرته بالقصّة من أوّلها إلى آخرها فعجب من ذلك، وقال لي: لعمري إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا، وترحّم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه[١].

٤- ابن الجوزي رحمه الله:

قال ابن الجوزيّ: تأمّلت أحوال النّاس في حالة علوّ شأنهم فرأيت أكثر الخلق تبين حسراتهم حينئذ، فمنهم من بالغ في المعاصي من الشّباب، ومنهم من فرّط في اكتساب العلم ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللّذات.

فكلّهم نادم في حالة الكبر حين فوات الاستدراك لذنوب سلفت، أو قوى ضعفت، أو فضيلة فاتت، فيمضي زمان الكبر في حسرات، فإن كانت للشّيخ إفاقة من ذنوب قد سلفت، قال:

وا أسفاه على ما جنيت؟ وإن لم يكن له إفاقة صار متأسّفا على فوات ما كان يلتذّ به.

فأمّا من أنفق عصر الشّباب في العلم فإنّه في زمن الشّيخوخة يحمد جنى ما غرس ويلتذّ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذّات البدن شيئا بالإضافة إلى ما يناله من لذّات العلم.

هذا مع وجود لذّاته في الطّلب الّذي كان يأمل به إدراك المطلوب، وربّما كانت تلك الأعمال أطيب ممّا نيل منها، كما قال الشّاعر:

أهتزّ عند تمنّي وصلها طربا ... وربّ أمنيّة أحلى من الظّفر

ولقد تأمّلت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الّذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدّنيا، وأنفقت زمن الصّبوة والشّباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني ممّا نالوه إلّا ما لو حصل لي ندمت عليه، ثمّ تأمّلت حالي فإذا عيشي في الدّنيا أجود من

---

[١] - ينظر: سير أعلام النبلاء - (٨ / ٥٣٦)و وفيات الأعيان - (٦ / ٣٨٠)

عيشهم، وجاهي بين النّاس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم لا يقاوم. فقال لي إبليس: ونسيت تعبك وسهرك، فقلت له: أيّها الجاهل. تقطيع الأيدي لا وقع له عند رؤية يوسف، وما طالت طريق أدّت إلى صديق:

جزى اللّه المسير إليه خيرا ... وإن ترك المطايا كالمزاد.

ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشّدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصّبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلّا عند الماء، فكلّما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همّتي لا ترى إلّا لذّة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أنّي عرفت بكثرة سماعي لحديث الرّسول ﷺ وأحواله وآدابه وأحوال أصحابه وتابعيهم – ﷺم أجمعين–.

وقال أيضاً: لم أقنع بفن واحد بل كنتُ أسمعُ الفقه والحديث، وأتبعُ الزُّهاد، ثم قرأتُ اللغة، ولم أتركْ أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدمُ إلا وأحضرهُ، وأتخيَّرُ الفضائل. ولقد كنتُ أدورُ على المشايخ لسماعي الحديث فينقطع نفسي من العدو لئلا أُسبق[١].

٥– ابن سينا رحمه الله:

لما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن حفظ القرآن العزيز، والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين، والحساب والجبر والمقابلة، ثم أحكم علم المنطق، وإقليدس والمجَسطي، وفاق شيخه (الحكيم أبا عبد الله الناتلي) أضعافاً كثيرة، وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد، واشتغل بتحصيل العلوم الطبيعي والإلهي، وفتح الله عليه أبواب العلوم، ثم رغب بعد ذلك، في علم الطب، وتأمل الكتب المصنفة فيه، وعالج تأدباً –أي تعلماً وتعليماً –لا تكسباً، وعلم الطب حتى فاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة، وأصبح فيه عديم النظير، فقيد المثيل، واختلف إليه فضلاء هذا الفن وكبراؤه، يقرؤون عليه أنواعه، والمعالجات المقتبسة من التجربة، وسنُّه آن ذاك نحو ست عشرة سنة، وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكمالها، ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة، وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضأ، وقصد المسجد الجامع وصلى، ودعا الله عز وجلَّ أن يسهلها عليه، ويفتح مغلقها له، وكان نادرة عصره في عمله وذكائه وتصنيفه، وصنف ما يقارب مئة مصنف ما بين مطول ومختصر، ورسالة في فنون شتى، رحمه الله[٢].

أهم النتائج والتوصيات

١– من الواجبات الشرعية الهامة التي تقع على عاتق الاباء حسن التربية والتنشئة للأبناء والاخلال بذلك الواجب لا يعرض الفرد والاسرة الى منزلق خطير فحسب بل الامة سواء فالأبناء لبنات المجتمع ولن يرتفع بناء الا بحسن ترابط وصياغة لبناته .

٢– في شريعتنا الغراء الاسس والاساليب الكافية لتنشئة جيل عظيم بكل معاني العظمة التي تتفاخر بها الامم فينبغي العودة اليها وافرادها بالدراسة والاهتمام والتطبيق.

٣– الابناء حاضر اليوم وقادة المستقبل والامة التي لا تحسن صناعة واعداد قادتها لن يكون لها شأن بين الامم .

٤– البناء والاعداد وحسن التربية أحدى السنن الكونية في قانون الحياة فينبغي التعامل معها بكل حرص وأمانة واداء وترك العمل بها يعرض الامة الى الضياع والهوان.

٥– استعار المسؤولية في عظيم أهمية التربية الصحيحة وما يواجه ابنائنا اليوم من التحديات بكل انواعه من الانحطاط الاخلاقي والاعلام السيء ومحاولة مسخ الشخصية الاسلامية من مقوماتها الاساسية ولكافة مراحل الحياة منذ الولادة وحتى الشيخوخة.

---

[١] – صيد الخاطر ص: ١١ و٢٤٧و٥٠٤ .

[٢] – ينظر:صفحات من صبر العلماء ص: ٤٤.

٦- استثمار أحدث اساليب الاعلام بكل صوره وتسخيره للبناء السليم والاخلاق العالية ومحاولة ايجاد البديل الجيد لصور الاعلام السيئة من الافلام والقصص والمسرح وغيرها مما يملأ البيت والشارع ومرافق الحياة المختلفة.

٧- أعظم ما تواجهه الامة من تحدي هو الغزو لأخلاقها والتمييع لشخصيتها ودورها بين الامم وترك الاعداد والاهتمام بهذا الجانب العظيم هو اعانة للأعداء وهزيمة للأبناء أمام هذا الغزو.

المصادر والمراجع

- الآداب الشرعية والمنح المرعية، الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، سنة الولادة / سنة الوفاة ٧٦٣هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، سنة النشر ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، مكان النشر بيروت.
- البداية والنهاية، المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، الناشر: مكتبة المعارف – بيروت.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى.
- تاريخ بغداد، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- تاريخ دمشق، المؤلف: ابن عساكر، دار الفكر – بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: عبد المنعم العاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٠١هـ.
- تهذيب التهذيب، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
- جامع بيان العلم وفضله، تأليف: يوسف بن عبد البر النمري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٨هـ.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، ١٤٠٣، تحقيق: د. محمود الطحان.
- حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، تأليف: ابن عابدين.، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- الحيوان، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

- رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، الإمام الشهيد/ حسن البنا (١٩٠٦-١٩٤٩م)، المكتبة الالكترونية الشاملة، الاصدار الرابع.
- الرسالة القشيرية، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.
- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤هـ، الطبعة: الثالثة.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
- سنن أبي داود، المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- سنن البيهقي الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، الناشر: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة،١٤١٤– ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- سير أعلام النبلاء، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣هـ، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.
- السِّيرةُ النّبوية – عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- شرف أصحاب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، سنة الولادة ٣٩٢هـ/ سنة الوفاة ٤٦٣هـ، تحقيق د. محمد سعيد خطي اوغلي، الناشر دار إحياء السنة النبوية، مكان النشر أنقرة.
- شعب الإيمان، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
- شعب الإيمان، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. مؤسسة علوم القرآن جدة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- صيد الخاطر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم – دمشق،١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- فتح الباري، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية)
- في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق – بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء / ٤ تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- الكفاية في علم الرواية، المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي، الناشر: المكتبة العلمية – المدينة المنورة، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف: علي بن حسام الدين المتقي الهندي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
- مجموع في السياسة(م)، تأليف: الفارابي والمغربي وابن سينا(م)، دار النشر: مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية، تحقيق: د.فؤاد عبد المنعم أحمد.
- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، المؤلف: الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب.
- المستدرك على الصحيحين، المؤلف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١-١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، عدد الأجزاء: ٤، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة. الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.
- مصنف عبد الرزاق، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية – حلب، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م.
- معالم في تربية الأطفال، اعداد: د. محمد السقا عيد، استشاري بطب الجراحة والعيون.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
- معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر – الرياض، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- المعلم والمناهج وطرق التدريس، د . محمد عبدالعليم مرسي. المكتبة الالكترونية الشاملة، الاصدار الرابع.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، السَّخاوي، عبد الرحمن، دار الكتاب العربي.
- مقدمة ابن خلدون، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار النشر: دار القلم – بيروت – ١٩٨٤، الطبعة: الخامسة.
- المنهاج النبوي في تربية الأطفال، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة، ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ، ((ماليزيا))، ((بهانج- دار المعمور)).
- منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور عبد الحفيظ سويد، تقديم مجموعة من العلماء الافاضل، دار طيبة، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة،١٤٢١هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.